International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (8)
IJESA
August 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (8)

هجرة الشباب وعلاقتها بأزمة الهوية والتثاقف والاندماج الاجتماعي: دراسة تحليلية

نجلاء عادل حامد
أ.م.د.، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق
Najlaa.a.h@uomosul.edu.iq

خليل محمد حسين
أ.د.، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق
Khalel.m.h@uomosul.edu.iq

محمد ذنون زينو
م.د.، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق
Mohammad.th.z@uomosul.edu.iq

ملخص

تُعد ظاهرة الهجرة من الظواهر الإنسانية التي رافقت حياة المجتمعات الإنسانية والأفراد منذ القدم. واستهوت هذه الظاهرة المعنيين والمختصين في مختلف التخصصات الإنسانية، وجلبت أنظارهم واهتمامهم، لما تفرزه من تحديات ومعطيات وإشكاليات عدة، تتوزع على الجوانب الأمنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وعلى المستوى الدولي وعلى المستوى المحلي، لتلك الدول التي توصف بأنها دول طاردة أو مصدرة لموجات الهجرة المتتالية، ولا يخفى أن الهجرة ظاهرة اجتماعية مركبة ذات أبعاد عديدة ولا يمكن فهمها والإحاطة بها من مدخل علمي واحد، بل لابد من الاستعانة بمداخل ومناهج علمية متعددة ومتداخلة كآليات منهجية فاعلة على مستوى تحليل وتمحيص هذه الظاهرة المشكلة الاجتماعية، من منظور اجتماعي ونفسي وديموغرافي واقتصادي وسياسي أيضاً، للإحاطة بأبعادها المختلفة، سواء كانت هجرة داخلية أم خارجية، نظامية أم غير نظامية، فهي تمثل تحدياً وتهديداً لكثير من الدول سواء كانت المرسلة أم المستقبلة المضيفة، لما تمثله من ضغط سكاني وصحي وخدمي وأمني واقتصادي، كل هذه التحديات تفرضها عملية الهجرة نحو بلدان المهجر، ولأجله حاولنا دراسة هذا الموضوع من ثلاثة أبعاد مهمة تتصل بظاهرة الهجرة وتترتب عليها، بوصفها تداعيات وانعكاسات ماثلة في الأمد القريب والبعيد بالنسبة للمهاجرين، ولدول الشتات أيضاً، أولها ما يتعلق بأزمة الهوية ومدى الشعور بها او وعيها كتحدي ذاتي ومجتمعي في ذات الوقت بوصفها مشاعر نفسية. دوافعها اجتماعية ومرحلة يمر بها المهاجر وهو يعيش في بلاد الغربة والاغتراب، أما البعد الآخر فهو أنها تبحث عن طبيعة العلاقة بين

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (8)
IJESA
August 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (8)

الهجرة وعملية التثاقف والمناقلة الثقافية، الحاصلة بالنسبة للمهاجرين بشكل مباشر أو غير مباشر، وهم يواجهون مجتمعات جديدة عليهم تختلف كلياً بمنظوماتها القيمية والأخلاقية وأنماطها السلوكية، وحاولت الدراسة تبيان طبيعة عمليات الاندماج الاجتماعي المصاحبة للهجرة، وما التحديات التي تمثلها، وكيف يتم التعاطي معها من قبل تلك الدول وتشريعاتها وقوانينها، وما الوسائل والآليات التي تفرضها عمليات اندماج المهاجرين في دول المهجر، بوصفها من العمليات المهمة التي تحقق قبولاً واستقراراً للمهاجرين.

كلمات مفتاحية: الهجرة، التثاقف، أزمة الهوية، الاندماج، الاغتراب.

Youth Migration and Its Relation to Identity Crisis, Cultural Interaction, and Social Integration: Analytical Study

Najlaa Adel Hamed
Assoc. Prof. Dr., Department of Sociology, College of Arts, University of Mosul, Iraq
Najlaa.a.h@uomosul.edu.iq

Khalil Muhammad Hussein
Prof. Dr., Department of Sociology, College of Arts, University of Mosul, Iraq
Khalel.m.h@uomosul.edu.iq

Mohammad Thanun Zenu
Dr., Department of Sociology, College of Arts, University of Mosul, Iraq
Mohammad.th.z@uomosul.edu.iq

Abstract

The phenomenon of migration is a human occurrence that has accompanied the lives of human societies and individuals since ancient times. This phenomenon has captivated the attention of those concerned and specialists in various human disciplines, drawing their interest due to the challenges, data, and issues it presents, which span security, social, political, and economic aspects, both internationally and locally, for those countries described as sending or exporting waves of migration. It is evident that migration is a complex social phenomenon with multiple dimensions that cannot be understood or comprehended from a single scientific approach. Rather, it necessitates the use of multiple and interrelated scientific frameworks as

effective methodological mechanisms for analyzing and scrutinizing this social issue from social, psychological, demographic, economic, and political perspectives, in order to encompass its various dimensions, whether internal or external migration, regular or irregular. It represents a challenge and a threat to many countries, whether they are sending or receiving host nations, due to the population, health, service, security, and economic pressures it entails. All these challenges are imposed by the migration process towards host countries, which is why we attempted to study this topic. As immediate and long-term implications for migrants and diaspora countries, the first aspect relates to the identity crisis and the extent to which it is felt or recognized as both a personal and societal challenge, manifesting as psychological feelings. Its motivations are social and represent a phase that migrants go through while living in foreign lands and experiencing alienation. The other dimension explores the nature of the relationship between migration and the processes of cultural exchange and transmission occurring for migrants, whether directly or indirectly, as they face new communities that differ entirely in their value systems, ethics, and behavioral patterns. The study aimed to clarify the nature of the social integration processes accompanying migration, the challenges they represent, how these are addressed by those countries through their legislations and laws, and the means and mechanisms imposed by the integration processes of migrants in host countries, as these are crucial processes that ensure acceptance and stability for migrants.

Keywords: Migration, Cultural Exchange, Identity Crisis, Integration, Alienation.

مقدمة

تُعد ظاهرة الهجرة من الظواهر الإنسانية التي رافقت حياة المجتمعات الإنسانية والأفراد منذ القدم. واستهوت هذه الظاهرة المعنيين والمختصين، وجلبت أنظارهم واهتمامهم، لما تفرزه من تحديات ومعطيات وإشكاليات عدة، تتوزع على الجوانب الأمنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وعلى المستوى الدولي وعلى المستوى المحلي، لتلك الدول التي توصف بأنها دول طاردة أو مصدرة لموجات

الهجرة المتتالية، ولا يخفى أن الهجرة ظاهرة اجتماعية مركبة ذات أبعاد عديدة ولا يمكن فهمها والإحاطة بها من مدخل علمي إنساني واحد، بل لابد من الاستعانة بمداخل ومناهج علمية متعددة ومتداخلة كآليات منهجية فاعلة على مستوى تحليل وتمحيص هذه الظاهرة -المشكلة الاجتماعية، من منظور اجتماعي ونفسي وديموغرافي واقتصادي وسياسي أيضاً، للإحاطة بأبعادها المختلفة، سواء كانت هجرة داخلية ام خارجية، نظامية أم غير نظامية، فهي تمثل تحدياً وتهديداً لكثير من الدول سواء كانت المرسلة أم المستقبلة المضيفة، لما تمثله من ضغط سكاني وصحي وخدمي وأمني واقتصادي، كل هذه التحديات تفرضها عملية الهجرة نحو بلدان المهجر، ولأجله حاولنا دراسة هذا الموضوع من ثلاثة أبعاد تتصل بظاهرة الهجرة وتترتب عليها، بوصفها تداعيات وانعكاسات ماثلة في الأمد القريب والبعيد بالنسبة للمهاجرين، ولدول الشتات أيضاً، أولها ما يتعلق بأزمة الهوية ومدى الشعور بها أو وعيها كتحدي ذاتي ومجتمعي في ذات الوقت بوصفها مشاعر نفسية دوافعها اجتماعية مرحلة قد يمر بها المهاجر وهو يعيش في ديار الغربة والاغتراب، أما البعد الآخر فهو أنها تبحث عن طبيعة العلاقة بين الهجرة وعملية التثاقف والمناقلة الثقافية، الحاصلة بالنسبة للمهاجرين بشكل مباشر أو غير مباشر، وهم يواجهون مجتمعات جديدة عليهم تختلف كليا بمنظوماتها القيمية والأخلاقية وأنماطها السلوكية، وأما البعد الآخر الذي حاولت هذه الدراسة معالجته فهو بيان طبيعة عمليات الاندماج الاجتماعي المصاحبة للهجرة، وما التحديات التي تمثلها، وكيف يتم التعاطي معها من قبل تلك الدول وتشريعاتها وقوانينها، وما الوسائل والآليات التي تفرضها عمليات اندماج المهاجرين في دول المهجر، بوصفها من العمليات المهمة التي تحقق قبولاً واستقراراً للمهاجرين، وهكذا توزعت هذه الدراسة إلى مباحث ثلاثة، فضلاً عن مبحث المنهجية وعناصرها وخطواتها العلمية، كما ذيلت هذه الدراسة بخاتمة الدراسة، فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الخطوات المنهجية للدراسة

أولاً: تحديد مشكلة الدراسة

تُعد الهجرة ظاهرة اجتماعية عالمية ذات بعد تاريخي ضارب في القدم، فهي ليست وليدة مرحلة العولمة ومرحلة الثورة الاتصالية والمعلوماتية الحالية، بيد أنها ازدادت في الوتيرة في التاريخ الحديث لاسيما بعد الثورة الصناعية وما أحدثته من تغيرات بنيوية وحضارية غيرت ملامح المجتمعات البشرية سيما المجتمعات الأوربية التي شهدت وعاشت عن كثب ظروف الانتقالة الصناعية وقيمها وثقافتها وأنماطها السلوكية والمعرفة والفكرية. وسنحاول في هذه الدراسة الإحاطة بأبعاد الهجرة بشقيها النظامية وغير النظامية

وانعكاساتها على واقع المجتمعات البشرية أيضاً سواء المرسلة الطاردة أو المستقبلة الجاذبة، فضلاً عن بيان مدى انعكاس هذه الظاهرة على المتغيرات المعتمدة من أزمة الهوية وقضية التثاقف وعملية الاندماج الاجتماعي المصاحبة لعملية التثاقف enculturation، ناهيك عن التحديات المختلفة التي تشكلها ظاهرة migrations phenomenonمن الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والأمنية، على الواقع الوطني مز جهة وعلى الواقع العالمي من جهة أخرى.

إن هذه الدراسة تحاول بيان مدى التأثير السلبي لظاهرة الهجرة على الشباب لاسيما كونهم الفئة الأكثر عرضة واتجاهاً نحو الهجرة من غيرهم، فهم ينشدون مستقبلاً طيباً لهم ولأسرهم بحثاً عن فرص عمل أو دراسة لتطوير أنفسهم كما كائن في نفوسهم ومخيالهم الاجتماعي، الذي يصور لهم الجوانب الجمالية والمثالية في المجتمعات الأوربية من التحرر والانفتاح وممارسة الحريات العامة وفرص العمل والدراسة والسياحة وكل شيء حسن في ذاكرتهم وزعمهم.

ويتطلب فهم هذه الظاهرة الإحاطة بجانبين إثنين مهمين لإبعاد الهجرة migration وهما ظروف وواقع المجتمع المهاجر منه وظروف المجتمعات المستقبلة المهاجر إليها، أو ما تسمى مجتمعات الجذب والشتات، فلا ريب أن لهذه الظاهرة أسبابها ودوافعها وعواملها، نحو ندرة فرص العمل بل وانعدامها في بعض المجتمعات، والظلم والتهميش الاجتماعي وانخفاض المستوى الاقتصادي والسياسي أحياناً فمجتمعاتنا العربية ما زالت حديثة عهد بالممارسات الديمقراطية واللبرالية والحريات السياسية والدستورية ومجمل قضايا حقوق الإنسان. في حين يجد الشباب في الجهة المقابلة ظروف الحياة الجميلة في العديد من جوانبها في المجتمعات الغربية من توافر فرص العمل والاستثمار والترقي وتطوير الذات، والتنعم والاستمتاع بمظاهر الحرية والحياة الاجتماعية بمظاهرها ومجالاتها النفسية والثقافية والترفيهية والسياحية، إذاً بإمكان المهاجر أن يتجول ربما بلا قيود وينتقل من دولة إلى أخرى بتصريح بسيط وبدون أي تعقيدات.

ثانياً: تساؤلات الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

1. ما طبيعة الهجرة وما دوافعها؟
2. ما انعكاسات الهجرة سواء النظامية الشرعية وغير النظامية وغير الشرعية على الهوية النفسية - الاجتماعية للمهاجر؟ وما انعكاسها على عملية التثاقف؟
3. ما علاقة الهجرة بعملية الاندماج الاجتماعي للمهاجرين في المجتمعات المهاجر إليها المختلفة ثقافياً؟

ثالثاً: أهمية الدراسة

للدراسة أهمية علمية سوسيولوجية لأنها محاولة لمعالجة ظاهرة بل مشكلة اجتماعية تعاني منها أغلب المجتمعات البشرية، لأن هذه الظاهرة ضاربة في أعماق المجتمعات البشرية، إذ تجلت في معظم المراحل الحضارية فمنذ مرحلة الصيد والرعي والزراعة والفلاحة إلى المرحلة الصناعية الكبرى التي شهدت موجات كبرى للمهاجرين نحو العالم الجديد أمريكا واستراليا فضلاً عن المجتمعات الأوربية. وبعدها توالت الهجرات الإنسانية من العالم النامي إلى العالم الذي صنف على أنه متقدم. من عالم الجنوب إلى عالم الشمال، وكان للدول الغربية نصيب كبير من هذه الهجرات سواء النظامية أو غير النظامية، ولأجل ذلك انبرت كثير من الدراسات والحلقات النظامية والندوات والمؤتمرات الدولية والمحلية، سيما التي رعتها الأمم المتحدة على مراحل مختلفة لدراستها. إن هذا الاهتمام يعكس خطورة هذه الظاهرة وأهميتها على المستوى المحلي الوطني والدولي العالمي إذا باتت تشكل تحديات خطيرة على مستوى ظواهر أخرى مرافقة لها كظاهرة الإدمان والمخدرات والإرهاب والإتجار بالبشر وعصابات وشبكات التهريب وغيرها من المنظمات التي باتت تجند هؤلاء الشباب وتورطهم في شبكات الجريمة المنظمة والإتجار بالبشر وتتجه بهم إلى عالم مجهول مقابل إغرائهم بالكسب المادي وغيرها.

وللدراسة أهمية علمية وتطبيقية فهي محاولة علمية أكاديمية للتخفيف من الآثار السلبية لهذه الظاهرة المشكلة ذات الأثر النفسي والاجتماعي والاقتصادي في العديد من جوانبها على المجتمعات العربية اجتماعياً وثقافياً وأمنياً وسياسياً، فالمهاجرون هم غالباً من شريحة الشباب التي تمثل قوة ديموغرافية لمجتمعاتنا العربية فهي الفئة الناشطة اقتصادياً وعملياً ولكن للآسف هي فئة غالباً ما يهاجر أو يفكر أفرادها بالهجرة وترك أرض الميلاد لأسباب ودوافع شخصية وأخرى ثقافية واجتماعية وسياسية، فهي خسارة كبيرة لمجتمعاتنا العربية فالكثير من المهاجرين هم من حملة الشهادات الجامعية والعليا ويمتلك الكثير منهم الخبرات الأكاديمية والفنية.

رابعاً: أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف والمقاصد أهمها ما يلي:

1. الوقوف على طبيعة الهجرة وتداعياتها الاجتماعية على الفرد والمجتمع.
2. معرفة آثار الهجرة وانعكاساتها على الهوية الاجتماعية للمهاجرين.
3. معرفة طبيعة العلاقة بين الهجرة وعمليات التثاقف بين المهاجرين والمجتمعات المستقبلة.

4. الكشف عن وسائل الاندماج الاجتماعي والتحديات في إطار المجتمعات المهاجر منها وإليها.
5. تقديم بعض المقترحات لمعالجة هذه المشكلة أو على الأقل التقليل من أثار الهجرة النظامية وغير النظامية السلبية على الفرد والمجتمع.

خامساً: منهج الدراسة

ينبغي لأي دراسة علمية أن تبنى على وسائل واليات منهجية تتلاءم مع طبيعة الدراسة وأهدافها وتقنياتها البحثية لأجل الإحاطة بالظاهرة المدروسة (الهجرة). وفي دراستنا هذه تم الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي والمدخل الأنثروبولوجي أيضاً في مجال تحليل عمليتي التثاقف والاندماج الاجتماعي وتشخيص آليات ووسائل المثاقفة enculturation بوصف أن المهاجرين يتعرضون إلى نسقين حضاريين مختلفين عن بعضهما ثقافة المجتمع المرسل وثقافة المجتمع المستقبل، وما يحصل بينهما من تواصل وتصادم وتداخل، فهذه الإشكالية ألأصعب ألتي تواجه المهاجرين (migrants) في رحلتهم إلى ديار الغربة والاغتراب عن الأهل والمحيط الثقافي الذي ألفوه منذ زمن بعيد وبين بيئة ومحيط جديد يختلف لغوياً وعرقياً ودينياً وثقافياً عنهم ولعل هذه تمثل أبرز وأهم التحديات التي تواجه المهاجرين فيما يتعلق بالحفاظ على الهوية الاجتماعية dentity social امن جهة والاندماج مع ثقافة المجتمع الجديد والتكيف معها رغم التباين بينهما. وهذا ما تسعى الدراسة الحالية إلى بيانه وبيان آثاره وتداعياته الاجتماعية على المهاجر والبلدان المهاجر إليها.

سادساً: تحديد وتعريف مفاهيم ومصطلحات الدراسة

في هذا المحور نركز الحديث على تعريف وتحديد عدد من الكلمات المفتاحية التي بنيت عليها الدراسة لأجل كشف معانيها ومدلولاتها ومقاصدها فالمفاهيم الاجتماعية متداخلة ومتشابهة في أحيان كثيرة. ولأجله حددنا في هذا المحور أبرزها وهي (الهجرة، أزمة الهوية، التثاقف، الاندماج الاجتماعي) وفيما يلي تعريف مختصر لها:

- **أولاً: الهجرة (migration):**

للهجرة بأشكالها وأنواعها مفاهيم ومقاصد عدة، فمنها الهجرة الداخلية التي تحدث في إطار البلد الواحد كهجرة الناس من الأرياف إلى الحواضر والمدن، وهي نوع له أسباب ودوافع لسنا بصدد الحديث عنها. أما الهجرة الخارجية التي هي (انتقال الأفراد أو الجماعات من موطنهم الأصلي لكي يستوطنوا موطناً آخر) (13: ص ١٤٠). أو زحف أفراد أو جماعات تاركةً موطنها الأصلي نحو موطن آخر، تجعل منه

مكاناً جديداً للإقامة الدائمة وتعد الهجرة الخارجية هجرة دولية لأنها تقوم على هجرة من دولة إلى دولة أخرى عابرة للحدود السياسية والجغرافية للدول (13: ص212) فيما أوضح وعرف تقرير الهجرة الدولية للعام 2020 وفق لتوصيات الأمم المتحدة أن المهاجر الدولي هو أي شخص يغير بلد إقامته المعتادة ويميز بين "المهاجرين لمدة قصيرة" (فهم الأشخاص الذين غيروا بلد إقامتهم المعتادة لمدة لا تقل عن ثلاثة أشهر، لكنها تقل عن سنة واحدة). "والمهاجرين لمدة طويلة" (وهم الأشخاص الذين غيروا بلد إقامتهم لمدة سنة واحدة على الأقل) (1: ص٢١). وهناك أيضاً ما يسمى بالهجرة الشرعية أو النظامية (وتعرف بأنها الدخول إلى إقليم دولة أجنبية والإقامة فيه وفقاً لما تقتضيه الاتفاقيات المتعلقة بالهجرة النافذة في ذلك الإقليم) (15: ص ٣٨٣). أما الهجرة غير الشرعية أو غير النظامية (فهي عدم حمل المهاجر لوثيقة سفر وعدم تمتعه بالإذن الشرعي للدخول لهذا البلد أو ذاك. وهذا يعني أن الشخص خرج من بلده ودخل بلداً آخر المراد الهجرة إليه بوساطة غير مسموح وغير متعارف عليه من سلطات تلك الدولة (15: ص82).

ونعني بالهجرة في دراستنا هذه انتقال الأفراد أو الجماعات من بلد لآخر بشكل غير قانوني يخالف الأعراف والقوانين الدولية المتفق عليها بين الدول مما يترك آثاراً سلبية على كلا الطرفين وهما البلد والمجتمع المرسل والبلد والمجتمع المستقبل.

- **ثانياً: أزمة الهوية identity crisis:**

بحسب نظرية إريكسون ينظر إلى أزمة الهوية بوصفها أزمة نمائية تنشأ من التغيرات الفسيولوجية وتوقعات المجتمعات، وغيرها من الأزمات الاجتماعية والنفسية الأخرى، فهي ليست أزمة بمعنى تهديد أو محنة بقدر ما هي موقف نمائي يقتضي تجاوزها تحديد هوية الأنا، أما إذا فشل الفرد في إنجاز هذه المهمة فأني سيعاني من الضياع والعجز في تحديد دوره في الحياة وفي المجتمع. (16: ص ١٦).

وأزمة الهوية يمكن النظر إليها بوصفها جملة العوائق التي تعترض محاولات الشخص لتحديد نفسه وأركان شخصيته. وهي الصعوبات التي تعوق رغبة الإنسان في أن يكون معترفاً به من الآخر (16: ص١٤). هذا ما يتعلق بمصطلح الأزمة crisis.

أما مفهوم الهوية فله تعاريف عدة منها. حيث يرى الانثربولجست قيس النوري بأن الهوية مركب بالغ التعقيد ينمو مع تعزيز ثقافة الأفراد وتوسيع آفاقهم النفسية والفكرية والثقافية والإنسانية التي تعزز وعيهم بأمتهم وانتمائهم إليها (11: ص٢٤٢). كما تعرف بأنها مركب من العناصر المرجعية المادية

والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي actor social (3: ص 165).

كما وتعرف الهوية identity بأنها شعور الفرد أو الجماعة بالانتماء وبالطريقة التي يرى الناس بها أنفسهم، بوصفهم أفراداً في مجموعات يشعرون بأنهم جزء منها، في حين يميز بعض المنظرين بين الهوية الجماعية والهوية الاجتماعية والشخصية. مع ذلك فإنها كلها تتشابك بطريقة أو بأخرى، لتشير إلى تعريف ماهية الشخص من هو؟ وكيف يتعايش مع مجموعته الاجتماعية والمجتمع بشكل عام؟ (8: ص ٩٨). وتعني الهوية الشخصية (الذاتية) شعور الفرد بأنه هو ذاته، وأن حدثت له تغيرات جسدية ونفسية، عبر مراحله النهائية. (10: ص 74).

أما أزمة الهوية في دراستنا هذه فنعني بها طائفة من التحديات والإشكاليات النفسية والاجتماعية التي تحول دون قدرة الشاب المهاجر على التكيف مع المجتمع المضيف، وتجعله يعاني من الاغتراب النفسي والفكري والضياعيه وعدم القدرة على تحديد ملامح هويته الشخصية ودوره في الحياة وفي المجتمع الذي هاجر إليه.

- **ثالثاً: التثاقف accalturation:**

هو عمليات اتصال واحتكاك بين ثقافتين أو أكثر أياً كانت مدته وطبيعته وأهدافه، ويذكر أن الباحث الأمريكي ملفين هيرسكوفيتس (١٨٩٥-١٩٦٣) هو من قدم مصطلح التثاقف أو الاتصال الثقافي، وعرفه مع زميله رالف لينتون، وروبرت ردفيلد (١٨٩٧ -١٩٥٨). إن التثاقف يشمل التغير الثقافي في تلك الظواهر التي تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر مستمر بينهما، مما يترتب عليه حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصيلة السائدة في إحدى هاتين الجماعتين أو فيهما معاً. (4: ص ١٩٨).

ويعرف قاموس علم الاجتماع التثاقف accalturation بأنه العملية التي يكتسب الفرد أو الجماعة عن طريقها خصائص ثقافة أخرى من خلال التفاعل، والاتصال المباشر، أو هي اكتساب الثقافة بالمشاركة والاتصال، أو هي عملية التغير الثقافي، الذي ينجم عن الاتصال المستمر بين جماعتين متمايزتين ثقافياً. (13: ص ١٣).

وهي عملية تشبه التعلم الاجتماعي أو التنشئة للبالغين التي يؤدي فيها الاتصال اللفظي دوراً أساسياً، ويعني التثاقف من وجهة النظر الاجتماعية انتشار القيم والأساليب والنظم وما يظهر عليها من تعديلات

في ضوء ظروف معينة، مما قد يؤدي في بعض الأحيان إلى ظهور ما يسمى بالصراع الثقافي cultural conflict. (13: ص ١٤).

وعلى أية حال فإن التثاقف يحمل معنى الاندماج الثقافي في داخله إذ يعرف بأنه العملية التي يتبنى فيها الأشخاص ثقافة ما، وبعض المعايير والممارسات السلوكية المقبولة اجتماعياً من ثقافة أخرى، مع الحفاظ على ثقافتهم الخاصة في نفس الوقت. فبدل الاختيار بين فقدان ثقافتهم الخاصة التي وفدوا منها، أو الاحتفاظ بثقافتهم الخاصة ورفض ثقافة المجتمع الجديد، فإنهم يقومون بدمج الاثنتين معاً، إذ يجلبون عناصر من ثقافتهم الخاصة الأصلية إلى المجتمعات التي هاجروا إليها في شكل طعام، أو لغة، أو موسيقى، أو فنون، أو مواقف، أو عادات وتقاليد. وفي الوقت ذاته يتبنون عناصر وسمات من الثقافة الجديدة ويتكيفون مع العادات المحلية وأساليب التفاعل (2: ص 335).

ويعني مصطلح التثاقف والمثاقفة أيضاً (الظواهر الاجتماعية والسلوكية التي تنجم عن الاحتكاك المباشر بين جماعتين من الأفراد مختلفتين في الثقافة، مع ما تجره هذه الظواهر من تغيرات في نماذج الثقافة الأصلية، لدى إحدى المجموعتين أو كلتيهما (12: ص٢٢١).

ونعني به في دراستنا هذه بأنه إحدى التفاعلات الاجتماعية التي يكتسب بموجبها الفرد عناصر ثقافية وأنماط سلوكية جديدة من ثقافة المجتمع المهاجر إليه (المجتمع المُضيف)، بوساطة التفاعل والاتصال معهم في محيط العمل والبيئة والسوق. أو في شتى جوانب المشاركات الاجتماعية الحياتية المعاشة.

- **رابعاً: الاندماج الاجتماعي social intrnlzation:**

ويعرف بأنه العملية الاجتماعية التي تذوب بمقتضاها الجماعات والطبقات والأفراد داخل كيان اجتماعي أوسع. ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال توسيع الحقوق في المجتمعات وما يترتب عليها من التزامات تقررها مجتمعات المواطنة، من خلال آليات اجتماعية معينة كالتعليم والزواج الداخلي والدمج الحضري وتوفير فرص العمل والخدمات بعدالة ومنح الحقوق والتعريف بالواجبات (13: ص 215).

ويعرف الاندماج الاجتماعي social intrernalization أيضاً بأنه وجود روابط مختلفة تساعد على الاندماج في المجتمع، وذلك من خلال المشاركة المجتمعية الفاعلة في القضايا ذات الصلة بالشعور بالمواطنة والانتماء والعدل، وأنه جزء لا يتجزأ من تكوين الدولة ويساعد الاندماج على تماسك

المجتمعات وتحصينها من العديد من النزاعات التي تعاني منها بشكل عام. (8: ص 137). والاندماج يعني موافقة الفرد على اتجاه معين أو قيمة معينة يعتنقها شخص آخر أو جماعة أخرى، واعتبراها جزءً من تركيبة شخصيته، ومن نافلة القول إن بناء الشخصية يتكون أساساً من خلال عملية توحد الفرد مع الآخرين ذوي الأهمية سواء كانوا أفراداً أو جماعات واستدماج intrernalization مستوياتهم. وأيضاً عن طريق رفض مستويات الجماعة المرجعية التي عاش فيها. (13: ص 216).

وأما في دراستنا هذه فنقصد به العملية الاجتماعية التي يتداخل فيها الأفراد ويتخالطون ويتفاعلون ويتواصلون في علاقاتهم وأعمالهم ومختلف نشاطاتهم الحياتية الأخرى على مستوى الأفراد وعلى مستوى الجماعات التي يعيشون معها، ويمارسون أدوارهم الاجتماعية في إطار الكل المجتمعي.

المبحث الثاني: الهجرة وأزمة الهوية

في هذا المبحث سنحاول أن نقف على طبيعة الهجرة immigrations من حيث طبيعتها، أسبابها وعواملها بشيء من الإيجاز لأن ما يعنينا من الموضوع هو قدر تعلقها وارتباطها بالآثار النفسية والاجتماعية التي تتركها الهجرة على شخصية المهاجر وهويته الاجتماعية واندماجه وتثاقفه. فللهجرة العديد من الدوافع والعوامل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية والأمنية، وإن كانت تختلف من فرد (مهاجر) إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. إذ تُعد ظاهرة الهجرة ولاسيما غير الشرعية ظاهرة عالمية، وغالباً ما تكون من دول الجنوب إلى دول الشمال، من الدول النامية والفقيرة إلى الدول المتقدمة. دول الرفاه الاجتماعي والاقتصادي، من دول تعاني من المشاكل الأمنية وعدم الاستقرار وفشل في الهيكلية الاقتصادية، نحو دول هي أحسن حالاً بهدف تحسين ظروف الحياة، أو بوصفها منطقة عبور ليس إلا، كما يحدث في إفريقيا، إذ يعبر مواطنو دول مثل مالي والنيجر وتشاد نحو دول المغرب العربي على اعتبار أنها أقرب مسافة إلى أوربا وتطل عليها مباشرة، إذ باتت الهجرة بشكل عام تشكل تحديات كبيراً للمجتمعات، لاسيما المستقبلة لأعداد كبيرة من المهاجرين وهي في تزايد مستمر، إذ تزايد عدد المهاجرين في العالم من ٧٥ مليون عام ١٩٧٧ إلى ٢٤٩ سنة ٢٠١٥(5: ص 118).

ومن المهم أن نفهم الهجرة بشقيها النظامية وغير النظامية وكيفية تغيرها على الصعيد العالمي، بالنظر لأهميتها للدول والمجتمعات المحلية والأفراد، وأن كانت الهجرة immigrations ظاهرة قديمة العهد تعود إلى حقب تاريخية مختلفة، غير أن مظاهرها وأشكالها واسبابها تغيرت مع مرور الوقت مع تزايد عولمة العالم. وصار لدينا قدر كبير من المعلومات أكثر مما مضى عن الهجرة والتشرد على الصعيد العالمي. ومع ذلك فإن

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (4), No. (8)
IJESA
August 2025
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (4)، العدد (8)

طبيعة الهجرة في حد ذاتها في عالم مترابط تعني أن استيعاب ديناميتها من الناحية الإحصائية قد يكون أمراً صعباً، إذ تنطوي الهجرة على أحداث قد تكون سريعة ومعقدة. ومن المؤكد أيضاً أن أنماط الهجرة الدولية ترتبط بالعمليات الاجتماعية والاقتصادية والجيوسياسية التي تغيرت عبر الأجيال. بل على مدى مئات السنين (1: ص٥٠).

وبوجه عام فقد زاد العدد التقديري للمهاجرين الدوليين خلال العقود الخمسة الماضية إذ تشير التقديرات إلى أن إجمالي عدد الأشخاص الذين كانوا يعيشون في بلد غير البلد الذي ولدوا فيه، قد أرتفع وبلغ ٢٧٢ مليون إنسان، عما كان عليه في عام ١٩٩٠ (إذ كان يبلغ ١٥٣ مليون شخص) وأكثر من نظيره المقدر في عام ١٩٧٠(٨٤ مليون إنسان) (1: ص 21).

وأدناه جدولاً يوضح أعداد المهاجرين ونسبتهم إلى سكان العالم بحسب السنوات المحصورة ما بين (1970-2019).

الجدول (1) (*) المهاجرون الدوليون (1970-2019) (*) المصدر (الأمم المتحدة، تقرير الهجرة الدولية لعام 2020)

السنة	عدد المهاجرين	نسبة المهاجرين إلى عدد سكان العالم
1970	**84 460 125**	2.3 في المائة
1975	**90 368 010**	2.2 في المائة
1980	**101 983 149**	2.3 في المائة
1985	**113 206 691**	2.3 في المائة
1990	153 011 473	2.9 في المائة
1995	161 316 895	2.8 في المائة
2000	173 588 441	2.8 في المائة
2005	191 615 574	2.9 في المائة
2010	220 781 909	3.2 في المائة
2015	248 861 296	3.4 في المائة
2019	271 642 105	3.5 في المائة

ومن الجدول أعلاه يتضح لنا التطور الكمي لحجم الهجرة كأزمة دولية، وفقاً لما يقارب من أربعة عقود ونيف من الزمن، وفقاً لإحصائيات منظمة الهجرة الدولية للأعوام ما بين 1975الى 2019 على التوالي. حيث تبدو الأرقام والنسب كبيرة وتشير إلى مشكلة جسيمة على المستوى العالمي، إذ كل هذه الأعداد تطلب من الدول المضيفة، أن تهيئ لهم فرص العمل والسكن الخدمات المختلفة من الماء والغذاء والكهرباء وفرص العمل والرعاية الصحية، ومختلف أنواع الإدماج لكي يتكيفوا في المجتمع المستقبل "المضيف". فضلاً عما للهجرة من آثار اجتماعية وتداعيات سلبية عديدة على المهاجرين بشكل عام وعلى نمط حياتهم وتفكيرهم وأساليب

عيشهم، فضلاً عن تداعياتها على شخصية المغترب وهويته الاجتماعية. إذ يخضع المهاجر تحت ظروف الغربة والهجرة وضغط الحاجة إلى التنازل عن بعض عناصر شخصيته وهويته الوطنية التي يعتز بها، بيد أنه إزاء كل هذه التحديات ينبغي عليه يبدأ رحلة جديدة ويبدأ عملية تقبل الخيارات والبدائل التي يجد في البعض منها مخرجاً للتشبث ببعض خصائصه الاجتماعية والنفسية والثقافية التي تربى عليها واستدماجها في شخصيته وهويته الاجتماعية لتكون عناصر مركزية في الحفاظ على كينونته وبقائه واستمراره في ظل التحديات والمعوقات التي تواجهه في أرض الغربة والشتات.

إن شعور المهاجر وهو يواجه صراع الهوية conflict identity بين نظامين ثقافيين مختلفين، إذ لكل نظام منظوماته القيمية والأخلاقية والفكرية، وأنماطه ونماذجه السلوكية التي تربى عليها في بيئته الاجتماعية والثقافية، بالتأكيد سيكون له تداعياته وانعكاساته على نمط شخصيته وتفكيره الذي سيكون ماثلاً في كل فعل اجتماعي وحركة سلوكية. مما سيولد لديه إشكاليات وأزمات على مستوى الهوية والفاعلية الاجتماعية. Social activity والاندماج والتكيف.

إذ تذهب بعض الاتجاهات السوسيولوجية التي أنجزت حول موضوع الهوية والهوية الهجين في مجتمعات الهجرة لاسيما مجتمعات الشتات، هذه الاتجاهات فسرت موضوع الهوية من منطلقات نظرية أحادية التفسير، لم تأخذ بالنظرة الشمولية حيالها وأن هذه الأطروحات قد اختزلت مفهوم الهوية بالأساليب التي تتأثر بها، وتؤثر بها في هوية المهاجرين، بين الغياب المزدوج والوعي المزدوج في المجتمع المستقبل (المضيف)، وهنا تكرس دراسات الهوية اهتماماً لفحص الآثار الاجتماعية والثقافية في "البلد المضيف" مثل تناول الكيفية التي تتعامل معها الدول مع المهاجرين، من خلال السياسات الإدماجية المرتبطة بالتغير والتحويلات الهوياتية (9: ص٦٧).

إن مغادرة البلد الأم تشكل صدمة خاصة إذا كانت الفروق الثقافية والاجتماعية كبيرة بين البلد الأم والبلد المضيف، كما هو الحال بين البلدان الغربية والبلدان الأوربية مثلاً إذ ما إن يصل المهاجر إلى البلد الأوربي، حتى يشعر بأن كل شيء قد تغير بالنسبة إليه، الثقافة والعادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية وأسلوب الحياة. مما يجبر المهاجر على إعادة التعلم، والتكيف، وهذا ما يشكل لدى بعض المهاجرين نوعاً من الصدمة الثقافية، وهنا تكمن الآثار السلبية، حين تتحول ردة الفعل على (الضياع الوجودي) إلى سجن لا يستطيع المهاجر الخروج منه.

إن موضوع الهوية مفهوم إشكالي "معقد ومركب ويحتمل كثيراً من المعاني" (7: ص 3). منها الهوية الاجتماعية ومنها الدينية ومنها الثقافية ومنها الوطنية والاثنية والطائفية وحتى العائلية، وغيرها من الخصائص والسمات التي تدور في فلكها هوية الفرد وكينونته الاجتماعية في إطار بيئته المجتمعية. إن المهاجرين واللاجئين غالباً ما يشعرون في دول الشتات بشعورين متناقضين، أحدهما الشعور بفقدان القيمة الذاتية تجاه مجتمع جديد، يمارس حياته بطرق مختلفة، عن تلك التي الفوها سابقاً، وثانيهما إحساس بالتفوق الكاذب المنسوب للعامل الديني وللقيم الأصلية التي نشأوا وتربوا عليها، ما ينتج عنصرية معكوسة، فهذه بلاد "كافرة" ونحن "مؤمنون" وقد أجبرتنا الظروف على القدوم إلى هنا وعلينا التعامل معهم بالحد الأدنى، وهي العقلية التي تؤسس "للكيتو" في المهجر بوصفه حاضنة يلتف تحت مضلتها أولئك المهاجرون والمبعدون واللاجئون، إذ يتم استخدم الهوية الدينية ورموزها وقيمها ومعتقداتها للحفاظ على الهوية الذاتية (7: ص 9). وإن مثل هذه الآليات والميكانزمات الدفاعية غايتها التشبث بعناصر وسمات الهوية والخصوصيات الثقافية إلى أقصى حد ممكن في ظل التحديات والمعوقات الحياتية التي يواجهها المهاجرين في بلدان الغربة والشتات. ومن هنا تظهر ملامح أزمة الهوية المقرونة بطائفة من التحديات والإشكاليات النفسية والاجتماعية والفكرية والأمنية، التي يواجهها الفرد المهاجر، من خلال انحسار وانحدار علاقته الاجتماعية، ونطاق حركته اليومية سواء في العمل أو مع الجيران أو مع الأقران، وهذا كله يدفع للشعور بالضياع واليأس والحرمان النفسي والاجتماعي، مما يمهد للشعور بأزمة الهوية crisis Identity والاغتراب alienation في دول الشتات، سيما إذا لم تتوافر لديه فرص العمل أو السكن أو التعليم، إذ سيشعر المهاجر بأن حياته مهددة ومستقبله معدوم فيقع تحت ضغط خيارين اثنين لا ثالث لهما، أولهما العودة لأرض الوطن سريعاً قبل فوات الأوان والتخلي عن كل شيء، والثاني المطاولة والتحدي على مستوى البحث عن فرص عمل وإثبات الذات، وتحقيق الحلم والأمل المنشود الذي هاجر لأجله وهو الثروة والمال أو التعليم والعمل الجيد الذي طالما كان يحلم به في بلده، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجهد نفسه للحفاظ على هويته وشخصيته الوطنية في ظل التحديات والمعوقات الكثيرة وفي أحايين عديدة لا يحصل المهاجر على غايته ولا على مبتغاه وتضيع سنوات عمره.

وفيما يتصل بتقلب الهوية بين حدة الأزمات وشدة التحديات، التي يواجهها الشباب المهاجر تبدأ رحلة البحث عن الذات والهوية والخصوصية، فالهوية مرتهنة دوماً بتفاعلات الواقع الاجتماعي المعاش، ومن ثم فليس هناك قيمة علمية لأي عمل يتناول أزمة الهوية .identity crisis بمعزل عن السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المحيط، وهو جدلية العلاقة بين الفرد المهاجر والمجتمع المضيف وأزمة تشكل

الهوية الجديدة في بلد الشتات (16: ص٦٧). التي تتجلى في مجموعة من العقبات والتحديات الاجتماعية والنفسية والثقافية التي تحيط بالمهاجر من كل حدب وصوب. إذ يمكننا القول إن تشتت الهوية أو أزمة الهوية، يخضع للعامل النفسي في المقام الأول، ثم الاجتماعي، المتمخض عن تفاعلات الواقع الذي دفع الشاب للهجرة إلى الخارج، بحثاً عن تحقيق الذات. والعمل بل والمكانة الاجتماعية المرموقة، التي يعتقد أن ظروف المهجر سوف توفرها له. إن الشخصية والهوية ليست بناءً أو كياناً جامداً أو ثابتاً غير قابل للتغيير، وليست معطى ثابتاً ومستقلاً عن الوجود الاجتماعي، فهي انعكاس كيفي للوجود الاجتماعي التفاعلي، إذ يمكننا أن نقول بثقة أن الإشكاليات التي تعتري عملية تشكيل الهوية لدى شبابنا ليست أمراً قدرياً أو مسألة حتمية، إنما يمكن أن تتقلص أو تتلاشى أو تتوسع وتمتد من حيث التفاعل والتأثير والتأثر، إذا ما تغيرت ظروف الواقع الاجتماعي باتجاه السواء وتم منح الجميع ذات الامتيازات وتوفرت لهم نفس فرص التعليم والعمل (16: ص 68).

ومهما يكن من أمر فإن المهاجر سيمر بمرحلة الصدمة الثقافية shock cultural في البلد المضيف، بسبب العديد من المتغيرات المتداخلة كاختلاف اللغة والعادات والتقاليد والآداب الاجتماعية العامة والقيم، فضلاً عن تباين أسلوب الحياة ومنظوماتها السلوكية والمعرفية والفكرية. كل هذا سيعرض المهاجر إلى ما يدعى بأزمة الهوية أو شتات الهوية، تحت ضغط الآليات الثقافية للمجتمع الجديد الذي لا يقبل التنازل عن منجزاته الحضارية والفنية والفكرية والحياتية، في الحرية والعدالة وحقوق المرأة وحريتها غير المحدودة، في البنية الاجتماعية والثقافية، وهي غالباً (المجتمعات الأوربية). التي لا تساوم ولا تتنازل عن منجزاتها ومكتسباتها الحضارية التي ينظر إليها المهاجر بعين الشك والريبة من منظور مخيلته الاجتماعية والدينية. وخلاصة القول أن شبابنا بشكل عام والشباب المهاجر بشكل خاص يعاني من أزمة هوياتية، فمن جهة انفصل عن ماضيه عن تلك الهوية الثقافية ذات الجذور العميقة التي عاش في كنفها أولى سنوات حياته وتشرب بقيمها الثقافية، فتمرد على الماضي وظن بأن التمسك بالماضي تخلفاً وأن التخلي عنه يعد تحرراً، ورمى بنفسه في أحضان المجتمعات الأوربية بوصفها الأمل المنشود وطوق النجاة والخلاص. (6: ص ٣٩) وجنة الله في الأرض التي طالما شكلت حلماً جميلاً يراود عقول الشباب المهاجر بين الفينة والأخرى، فما أن يصل إلى هذا الواقع الجديد حتى تبدأ إشكاليات التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي والتحديات الأخرى المرتبطة بها كأزمة الهوية والتثاقف والاندماج الاجتماعي.

المبحث الثالث: الهجرة وإشكاليات التثاقف

في هذا المبحث من الدراسة نبين طبيعة العلاقة بين الهجرة وأنماطها السلوكية، والتثاقف بوصفه إحدى العمليات الثقافية التكيفية التي ترافق المهاجر منذ مبدأ وصوله أرض المهجر واستقراره وعيشه فيها، وما تواجهه من تحديات سلوكية وثقافية في هذه الرحلة الإنسانية بكل أبعادها. إن المهاجر ذلك الفرد الذي يحمل منظومة فكرية وحضارية وسلوكية ترسخت في ذهنه كعقيدة وقيم وممارسة سلوكية، من الصعوبة بمكان أن يتخلى عنها، جراء عيشه في بيئة حضارية جديدة تختلف بكل نظمها وأفكارها وقيمها وأنماطها الثقافية، عن بيئته المجتمعية التي عاش فيها سنوات طويلة. أن تعرض المهاجرين الشباب إلى مثل هذه التحديات والمعوقات والضغوط على مستوى الذات والهوية والتفاعل والتثاقف والاندماج مع المجتمع الجديد، تفرض عليه أن يتبنى آليات التكيف والتواصل والتوافق مع المنظمات الفكرية والثقافية للمجتمع الجديد (المضيف) وهنا يقع المهاجر تحت ما يسمى بعمليات التثاقف accalturation أو المثاقفة كما يسميها علماء الأنثروبولوجيا. إن التثاقف accalturation تارة يعبر عنه بالاتصال الثقافي cultural communication، وتارة بالاحتكاك الثقافي، وهو مصطلح متداول كثيراً في كتابات الانثربولوجيون والاثنولوجيون منذ بدايات القرن العشرين، وهو معني بدراسة تأثير الثقافات بعضها ببعض نتيجة الاتصال أيا كان مدته وطبيعته وأهدافه. (4: ص 198).

ويبدو أنها ظاهرة تنجم عن الاحتكاك المباشر والمستمر، بين جماعتين من الأفراد مختلفتين في القيم الثقافية، مع ما تجره هذه الظواهر من تغيرات في نماذج الثقافة الأصلية، لدى إحدى المجموعتين أو كلتيهما. كما يذهب آخرون إلى القول بمفهوم "المناقلة الثقافية" التي تعبر بشكل أفضل عن مراحل الانتقال المختلفة من ثقافة إلى أخرى، لأن هذا السياق لا يشتمل على اكتساب ثقافة أخرى، بل يتضمن أيضاً بالضرورة، فقدان مقدار ما من ثقافة سابقة، أي الانتزاع منها. وهو ما يمكن وصفه بالتجريد الثقافي، فضلاً عن ذلك فإنه يقود بالتالي إلى مسألة نشأة ثقافة جديدة، وهو ما يمكن تسميته بالتوقيف الجديد. (10: ص١٤٦).

ويبدوا إن الأمر يتطلب نشوء ثقافة جديدة، تقبل اندراج المهاجر في دول الشتات، لتحل محل ثقافة البلد ذي اللسان الواحد ، والدين الواحد، واللون الواحد، أي "المواطنة الثقافية" التي تعني حق الجماعات الفرعية والأقليات بالاحتفاظ بهويتها الثقافية الخاصة، حتى لا يتم احتواؤها ودمجها قسراً في الثقافة العامة الرسمية السائدة في المجتمع وبما يفتح الأفق أمام انتشار ثقافة الاختلاف بشرط أن لا يترتب على ذلك عدم المشاركة بشكل إيجابي وفعال في مختلف أنشطة الحياة، والالتزام التام بالقوانين والقواعد الأساسية المنظمة للحياة

العامة في دول الشتات (7: ب ص). إن مغادرة البلد الأم من قبل المهاجر تشكل صدمة نفسية، لاسيما إذا كانت الفروق الثقافية والاجتماعية كبيرة بين البلد الأم والبلد المضيف كما هو الحال بين البلدان العربية والبلدان الأوربية، ولو رجعنا إلى أدبيات الأنثروبولوجيا (نلحظ أن ما ينطوي عليه الواقع الثقافي للشعوب من اختلافات وفروق فكرية وعقائدية وأخلاقية يفوق كثيراً ما يبرز بينهما من تشابه. ويبدو أن العولمة التي تغلب عليها التوجهات الأيديولوجية الغربية، التي تتجاهل تباين العالم الثقافي والقيمي والفكري وتطرح النموذج الأيديولوجي الغربي كأفضل خيار متاح للإنسانية عموما (11: ص 373). وربما هذا من جانب يمهد للمهاجرين سبل الاتصال والتكيف مع المجتمع المضيف، لعلمهم بأحوال تلك المجتمعات من الناحية الاجتماعية والنفسية والثقافية والاقتصادية.

ومهما يكن من أمر فإن المهاجرين إلى العديد من الدول لاسيما الغربية ينبغي أن يخضعوا لعمليات الإدماج الثقافي enculturation التي هي في جوهرها عملية تغيير اجتماعي ونفسي وثقافي لعدد من العناصر السلوكية الشخصية، وتظهر من خلال الموازنة بين ثقافتين والتكيف مع الثقافة السائدة في المجتمع المعاش. والتطبيع هي عملية يتبنى فيها الفرد ويكتسب سمات البيئة الاجتماعية بعناصرها الثقافية ويتكيف مع هذه البيئة الثقافية جديدة، من خلال عيشه في مجتمع جديد وثقافة جديدة عليه أيضاً. إذ يحاول الأفراد المهاجرون المنتمون إلى ثقافة مختلفة دمج أنفسهم في الثقافة الجديدة الأكثر تأثيراً من خلال المشاركة في جوانب هذه الثقافة الأكثر حضوراً وانتشاراً، كالتقاليد والعادات والأذواق العامة (2: ص 327).

إن انتقال المهاجر للعديد من الدول إلى بلد اختاره ليكون وطناً جديداً، تُعد مرحلة مفصلية صعبة تواجهه في إعادة التنشئة الاجتماعية وتشكيل قيمه وتقاليده الثقافية التي عاشها في مجتمعه إلى سن الرشد، ومن جانب آخر إن هذا الانتقال قد لا يقابل بنجاح من قبل الناس جميعاً ولا في كل الأعمار، إن الانتماء إلى جماعة أو مجتمع ما، يعني مشاركة الأعضاء الآخرين في العديد من الأفكار أو السمات العامة والأنماط السلوكية المشتركة الخاصة بهذا المجتمع أو تلك الجماعة (3: ص 166). وهذا يتطلب تكيف المهاجر واندماجه في مؤسسات وأنظمة وقوانين وقواعد المجتمع المضيف ليحقق قبولاً ورضا على مستوى ذاته وعلى المستوى الجماعي والمجتمعي، حينئذ يشعر المهاجر بنوع من التوافق النفسي والاجتماعي في المجتمع الجديد، وبالتالي تبدأ مسيرة الحياة تشق طريقها وسط هذه المتغيرات الإنسانية التي تفرضها طبيعة وثقافة المجتمع الجديد (المضيف).

المبحث الرابع: الهجرة وتحديات الاندماج الاجتماعي

طالما سلمنا أن الهجرة immigration ظاهرة مركبة ذات أبعاد نفسيه واجتماعية وثقافية وسياسية أمنية، لذلك لا يمكن فهمها من منظور واتجاه واحد سوسيولوجي أو سيكولوجي أو ثقافي، لأجله يتطلب العمل رؤيا متعددة تكاملية تحيط بالموضوع من أغلب مجالاته وأبعاده وعناصره. لذلك خصصنا محاور عدة في دراستنا هذه، إذ ناقشنا مفهوم الهجرة وعلاقتها بأزمة الهوية الاجتماعية للمهاجرين، وما يتمخض عنها من إشكاليات وتحديات خطيرة على واقع المهاجرين وأسلوب حياتهم وعيشهم في المجتمعات المضيفة، فضلاً عن ذلك ناقشنا موضوع الهجرة وعمليات التثاقف والمثاقفة في بلدان المهجر، وما هي التحديات والإشكاليات لتي يواجهها المهاجرون وهم ينخرطون في أنساق ونظم اجتماعية وثقافية وبيئية جديدة، تريد منهم التوافق والانسجام مع المنظومات القيمية والاخلاقية، والأنماط السلوكية، التي تفرضها حضارة المجتمع المستقبل (المضيف) وقوانينه وقواعده الرسمية وغير الرسمية.

وهنا نركز الحديث عن المتغير ربما الأكثر أهمية وأثراً، وهو جدلية الاندماج الاجتماعي للمهاجرين intrernalization socital والتحديات التي تواجههم، والصعوبات الإدارية والقانونية والاجتماعية والثقافية، التي تفرضها طبيعة البلد المضيف، وربما هذه أهم القضايا والأمور التي تولدها عملية الهجرة، منذ مبدأ وصول المهاجرين وإلى مرحلة الاستقرار والتوطين.

إن مجمل هذه العمليات تنطوي تحت عمليات الاندماج الاجتماعي والثقافي، بالنسبة للفرد المهاجر من جهة، وبالنسبة للدولة المضيفة المسؤولة عن وضع مجموعة قوانين وقواعد وإجراءات، تدعى بسياسات الاندماج التي تتولاها الدول المعنية بطوابير المهاجرين ومنها دول أوربا الغربية، وكندا واستراليا وأمريكا. ويمكننا بيان المقصود بعملية "الاندماج الثقافي" بأنها (العملية التي يتبنى فيها بعض الأفراد من ذوي ثقافة ما، عدد من المعايير والممارسات من ثقافة أخرى، مع الحفاظ على ثقافتهم الخاصة في الوقت ذاته. فهم بدلاً من الاختيار بين فقدان ثقافتهم الخاصة التي وفدوا بها، أو الاحتفاظ بثقافتهم الخاصة، ورفض ثقافة المجتمع الجديد، يقومون بدمج الاثنتين معاً، إذ يجلبون عناصر من ثقافتهم إلى المجتمعات التي هاجروا إليها، في جوانب منها، كعادات الطعام، واللغة، والملبس، والفنون، أو بعض المواقف السلوكية والأخلاقية، أو التقاليد، ويتبنون أجزاء من ثقافتهم ويتكيفون مع العادات وأساليب التفاعل الجديدة (2: ص 327). وتُعد قضية المساعدة وإدماج المهاجرين واحدة من القضايا التي نالت اهتماماً كبيراً من الهيئات والمنظمات الدولية كمنظمة الهجرة الدولية التابعة للأمم المتحدة، التي تعنى بتقديم برامج العودة الطوعية وإعادة

الإدماج، سواء في الدول المضيفة أو الدول المرسلة للمهاجرين، ويشمل الدعم الذي تقدمه المنظمة للمهاجرين من خلال هذه البرامج مجموعة من الأنشطة منها: تقديم المشورة قبل المغادرة وشراء تذاكر الطائرة، والمساعدة الإدارية والمساعدة في السفر، والمساعدة بشكل عام في الإدماج الاجتماعي من خلال المحاضرات والبرامج التدريبية. ففي الفترة الممتدة من عام ٢٠٠٥ إلى عام ٢٠١٤، ساعدت المنظمة في المتوسط (٣٤٠٠٠) مهاجر سنوياً من خلال تلك البرامج، وفي عام ٢٠١٨ قُدم الدعم في إطار تلك البرامج إلى (٦٣٣١٦) مهاجر عائداً من (١٢٨) بلداً مضيفاً أو بلد عبور إلى (١٦٩) بلداً أو إقليماً أصلياً، غير أن هذا العدد يشكل انخفاضاً بنسبة (١٢%) مقارنة بعام (٢٠١٧) (1: ص 37).

خاتمة

تؤكد الدراسات النفسية والاجتماعية إن الهجرة تعمل على تغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين، وفي ذات الوقت فإن هجرة الأفراد من ذوي الخلفيات الثقافية المتباينة، يكون لها أيضاً تأثيرات كبيرة على الهوية الثقافية للمهاجرين وكذلك مجتمع الهجرة المستقبل لهم، وتؤكد هذه الدراسات أن التعليم الإلزامي هو الأساس الأكثر أهمية في عملية الإدماج الاجتماعي والثقافي، إذ أن هذا النوع من التعليم يوفر فرصة كبيرة لأبناء المهاجرين وللمهاجرين أنفسهم لإدماجهم وتطبيعهم الاجتماعي والثقافي مع مجتمعات دول المهجر (2: ص 321). لاسيما إن عملية الإدماج الاجتماعي والثقافي من العمليات المهمة على مستوى تكيف المهاجرين وقبولهم ضمن إطار المجتمعات المضيفة، وتواجه هذه العملية تحديات ومعوقات عديدة ومتنوعة منها اللغة، والعادات والتقاليد، والآداب والأخلاق، ومجمل القيم والمعايير الاجتماعية والسلوكية، فضلاً عن الأنماط الذوقية والنظم المعرفية، التي تتميز بها المجتمعات المستقبلة والمضيفة للمهاجرين، وهذه التحديات ناجمة عن تباين واختلاف البنى الثقافية والاجتماعية للبلدان المضيفة عن البلدان المرسلة والدافعة للمهاجرين. وللاندماج أهمية بالنسبة للوافدين والمهاجرين واللاجئين، ليتفاعلوا ويشاركوا المجتمع الجديد في معظم فعالياته ونشاطاته وأنساقه الثقافية. مما يعزز وجودهم وقبولهم من خلال أدوارهم التي يمارسونها سواء كانوا من فئة العمال أم التجار أم الأطباء والعلماء وحاملي الشهادات العليا والجامعية.

المصادر والمراجع

1. الأمم المتحدة، منظمة الهجرة الدولية، تقرير الهجرة في العالم لعام ٢٠٢٠، سويسرا، ٢٠٢١.
2. جبر الله عباس، ومحمود صلاح، شبكات الهجرة والاندماج الثقافي، دراسة ميدانية على عينة من أجيال المهاجرين النوبين بمحافظة السويس، متاح على الموقع http://jfhsc.journals.ekb.eg

3. جي روشيه، مدخل إلى علم الاجتماع العام، ط١، ترجمة مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٣.
4. حسين فهيم، قصة الانثربولوجيا، مطابع الرسالة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٦.
5. سفير نوار، التعامل الإعلامي مع ظاهرة الهجرة غير الشرعية في الجزائر، من أعمال المؤتمر الدولي لظاهرة الهجرة كأزمة عالمية، ط١، ألمانيا، ٢٠١٩.
6. السيد محسن المدرسي، الشباب وأزمة الهوية، ط١، دار البصائر للثقافة والنشر، العراق، ٢٠١٩.
7. عبدالله التركماني، فرص، وتحديات الاندماج الاجتماعي في دول الشتات، مجلة إلكترونية فكرية ثقافية جامعة، منتدى الفارابي للدراسات والبدائل، متاح على الموقع https://alislahmag.com
8. عمرو خيري عبدالله وآخرون، دليل المصطلحات العربية في دراسات السلام وحل النزاعات، ط١، جمعية الأمل العراقية، ٢٠١٨.
9. عمر عابدين، سيسيولوجيا الهجرة عبدالملك صياد مثالاً، مجلة سبل العدد العشرون، ٢٠٢٣، متاح على الموقع https://subulmagazine.com
10. عيسى الشماس، المدخل إلى الأنثربولوجيا، منشورات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.
11. قيس النوري، الشخصية العربية ومقارباتها الثقافية، ط٢، دار مكتبة البصائر، بيروت لبنان، ٢٠١١
12. ملفيل هيرسكوفيتس، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٤.
13. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.
14. مصطفى حجازي، الإنسان المهدور، ط١، المركز الثقافي العربي، لبنان، ٢٠٠٥.
15. مفيد خليفة البكباك، وعبدالله الهادي الكرامي، تداعيات الهجرة الشرعية وآثارها بين المستوى الشخصي والمجتمعي، من أعمال المؤتمر الدولي "ظاهرة الهجرة كأزمة عالمية بين الواقع والتداعيات"، ط١، نيروبي، دار السلام. ٢٠١٩.
16. هاني الجزار، أزمة الهوية والتعصب "دراسة في سيكولوجية الشباب" ط١، هلا للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠١١.